يزيد البسطامي رضي الله عنه رب العزة في المنام فقال له يا رب كيف أصل
إليك فقال له فارق نفسك وتعال وقال أبو الحسن الشاذلي في قوله
عز وجل أولئك الذين هدى الله فبهداهم اقتده ما نصه لا أنسى الأنس (كذا)
إلا لمن أتقى ولا تقوى إلا لمن أعرض عن الدنيا ولا يعرض عن الدنيا إلا لمن هانت عليه
نفسه ولا تهون النفس إلا عند من عرفها ولا يعرفها إلا من عرف مولاه
ولا يعرف مولاه ويجده إلا من أطاعه واجتباه وحال بينه وبين نفسه
وشيطانه وهواه هـ ولهذا قال الإمام البوصيري رحمه الله تعالى في البردة
ما نصه ۞ وخالف النفس والشيطان واعصهما ۞ وإن هما محضاك النصح
فاتهم ۞ ولا تطع منهما خصما ولا حكما ۞ فأنت تعرف كيد الخصم
والحكم ۞ ولهذا كان الشيخ مولاي قاسم رضي الله عنه في بدايته
ملازما لسيد الحاج الخياط المتقدم في الترجمة فلم يزل لا يفارقه
ولا يفعل فعلا ولا يبرم أمرا إلا عن إذنه ومشورته بتوفيق الله سبحانه
له كأنه كان أمينا ولقد كان علم الشيخ سيد الحاج الخياط المذكور صدقه
في الطلب اعتنى بشأنه وأقبل بكليته عليه إلى أن فتح الله سبحانه عليه
بفضله وكرمه بدوامه من الفتوحات وأنواع الكرامات ما لا يحصى
ولا يعد ولا يستقصى والطلعة على أمور لا ينبغي إفشاؤها لكل الناس ولا ترسم
في دفتر ولا قرطاس فمن جملة ما رآه معه من الكرامات في حال بدايته
ما سمعته يحدث به في نهايته قال كان سيد الحاج الخياط أعز الناس عندنا
وكنا نستعد في حقه بذل نفوسنا وكنا لا نستطيع مفارقته ولو بالليل
الذي هو محل السكون وتجمع الأنام العيون فصار ذلك يحملنا في القيام
في الجزء الأخير من الليل رغبة في الاجتماع معه في الزاوية فقمت في بعض الليالي

في

(Margin notes: ناسي (?) · كذا وإن عنه ولعل (?) · يشبه (?))

في نصف الليل أو بعده بيسير فتوضأت وركعت ما تيسر وجعلت السبحة
وجعلت أذكر الله تعالى إلى أن تفتح الأبواب ويمكن الوصول إلى الاجتماع
مع الأحباب فبينما أنا على ذلك الحال إذا أحسست سنة ثم قمت فزعا
فإذا قرص الشمس طالع ونورها على الجدرات ساطع فقلت إنا لله
وإنا إليه راجعون أي ذنب اقترفت حتى أوقعني في هذه الورطة التي
منعتني من الصلاة في وقتها ومن مشي من المجلس بين يدي الشيخ في هذه
الليلة وأنسيتها قال رحمه الله فخرجت مسرعا وقلبي على صفة حي
العلم من شدة الإسراع أين أضع قدمي ولا أدري إلا في أمرا في الطريق
وأنا ذاهب إلى الزاوية فوجدت الباب لم يفتحها فبقيت متعجبا وعلمت
أنها أنوار الشيخ سيد الحاج الخياط ساطعة ومعارفه تجلت لطالعة
هو أنشدوا ۞ طلعت شمس من أحب بليل ۞ فاستنارت وما عليها غروب ۞
إن شمس النهار تغرب بليل ۞ وشمس القلوب ليس تغيب ۞
وجعل هذا الشيخ في هذا السيد قاسم العجائب ورقيه لا على
المراتب إلى أن ظفر بمطلوبه وبلغ أقصى مرغوبه فطوبى له حيث صبر وربط
نفسه عن الشهوات وذللها حتى بلغت مقصودها وأملها وأنشدوا
أخلق بذي الصبر أن يحظى بحاجته ۞ ومدمن القرع للأبواب أن يلجا ۞
فهو وأمثاله هم الناس حقا ۞ وما سواهم همج ولا كـ لا مرقد ثم غلبتهم
أنفسهم مثلي وأخلدوا إلى أرض الشهوات ۞ وقاموا بنحو المعاصي والشبهات ۞
وينام طول الليل ويشرب الأطفال ۞ ويأكل من الطعام الأرذال ويطمع
في مقامات الرجال ۞ ويدعي الأحوال ۞ ويزعم أنه سلك آثار القوم ۞ هيهات
هيهات أن يكون مثل هذا في حال اليقظة وإنما هو في حال النوم ۞

Copyright © King Saud University

Created with PDFsharp 1.2.1269-g (www.pdfsharp.com)